logo
Image not found or type unknown

Title	Morceaux choisis du Livre des moines / [édité par] Ṣalaḥuddīn al-Munajjed
Contained in	MIDÉO : Mélanges de l'Institut dominicain d'études orientales du Caire / Direction : Georges Shehata Anawati, (puis) Régis Morelon, (puis) Emilio Platti, (puis) Emmanuel Pisani, (puis) Dennis Halft
Volume	3 (1956)
pages	349-358
URL	https://ideo.diamondrda.org/manifestation/191540

AlKindi 4, Ideo Library - Cairo
Image not found or type unknown
This content downloaded from 3.17.174.228 on Fri, 19 Apr 2024 23:56:11 CEST

NOTES ET DOCUMENTS

MORCEAUX CHOISIS DU LIVRE DES MOINES

Les *Isrā'īliyyāt*, c'est ainsi qu'on a coutume d'appeler les sentences, récits et anecdotes venant des juifs et concernant leurs traditions populaires, leurs usages et leurs livres, abondent dans notre littérature ancienne. Elles ont eu l'heur de trouver des transmetteurs et des divulgateurs parmi les savants musulmans des premiers temps, dont certains comme Ka'b al-Aḥbār et Wahb b. al-Monabbih, étaient d'ailleurs des convertis du Judaïsme ou du Zoroastrisme. Elles ont ainsi exercé leur influence en milieu musulman : nous les trouvons consignées dans nos plus anciens ouvrages, notamment les commentaires du Coran, et il nous arrive d'en retrouver la trace dans diverses coutumes.

Il n'en est malheureusement pas de même de ce que nous pourrions nommer les *Masīḥiyyāt*, ensemble de traits et de dires en provenance des chrétiens. On les trouve en nombre beaucoup plus restreint dans notre littérature ancienne, et les savants ne semblent pas leur avoir accordé autant d'intérêt qu'aux *Isrā'īliyyāt*. Elles existent cependant, et elles ont exercé une influence certaine.

Parmi les *Masīḥiyyāt* que nous rencontrons dans notre littérature, ce qui concerne les moines mérite de retenir notre attention. De nombreux ouvrages renferment des éléments ayant les moines pour sujet et pour origine. Ceci d'ailleurs s'explique aisément : les musulmans de la première époque étaient curieux de tout ce qui pouvait enrichir leurs connaissances. Lorsqu'au cours de leurs déplacements il leur arrivait de rencontrer des moines, ils engageaient volontiers avec eux la conversation, leur demandaient conseil, prêtaient l'oreille à leurs récits et à leurs dires, et s'efforçaient de comprendre à la lumière de leurs explications ce qui leur avait jusque - là été obscur. Ils ne manquaient pas de raconter ensuite ce qu'ils avaient vu et entendu, ni leurs auditeurs d'en faire autant.

Ces récits et ces dires provenant des moines ont ceci d'intéressant qu'ils ressemblent étrangement à ce que nous trouvons rapporté au compte des ascètes et des saints musulmans dans des ouvrages de soufisme tel que la *Ḥilyat al-awliyā'* d'Abū No'aym. Cette remarque vaut spécialement pour ce qui concerne le détachement, le renonce-

ment aux choses de ce monde et l'anéantissement du moi, ces attitudes qui répondent en Islam à la vie monastique en Christianisme.

Le texte que nous présentons ici offre un exemple typique de ces *Masīḥiyyāt*. Ibn abī l-Donyā (mort en 281 H./894)[1] en a extrait le contenu d'une source dont nous ignorons l'auteur, et l'a intitulé *Morceaux choisis du Livre des Moines*. Nous y trouvons un certain nombre de récits et de sentences se rapportant à des moines chrétiens, ainsi que quelques anecdotes d'origine israélite.

Nous avons trouvé ce texte dans un recueil des œuvres d'Ibn abī l-Donyā conservé en Inde (Riḍa Rampūr 335/10) qui avait été photographié par l'Institut des Manuscrits de la Ligue des Etats Arabes. Ce recueil est rédigé en belle écriture naskhī, en partie vocalisée, que l'on peut vraisemblablement dater du VIIe s. H. / XIIIe s. Le texte qui nous intéresse y occupe deux folios, chaque page comprenant vingt-sept lignes de seize mots environ chacune. Notons que le texte comporte quelques fautes grammaticales et que l'orthographe y diffère en certains cas de celle actuellement en usage. Il faut enfin signaler que nous avons dû renoncer à déchiffrer un certain nombre de mots effacés.

(1) v. Brockelmann, *GAL*, I, p. 135, et Ibn Khallikān, *Wafayāt*, éd. Būlāq, I, p. 310.

المنتقى من كتاب الرهبان

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسر

١ – عن وهب بن منبه قال :

مرّ رجل براهب فى بنى إسرائيل فقال : يا راهب ! كيف ذكرك للموت قال : ما أرفع قدماً ولا أضع أخرى حتى أرى أنى ميت . قال : كيف نشاطك للعبادة ؟ قال : ما أرى أحداً يسمع بذكر الجنة والنار تأتى عليه ساعة لا يصلى فيها . فقا [ل] له الرجل : إنى لأصلى فأبكى حتى ينبت البقلُ حولى من دموعى . فقال له الراهب : إنك إن تضحك وأنت معترفٌ بخطيئتك خير من أن تبكى وأنت مدلٌ بعملك . إنّ صلاة المدلّ لا تجاوز رأسه . قلتُ : يا راهبُ ، أوصنى . قال : أزهد فى الدنيا ولا تنازعها أهلها . وكن كمثل النحلة لا تأكل إلا طيباً ولا تضع إلا طيباً ، و إن وقعت على شىء لم تكسره . وانصح لله نصحَ الكلب لأهله فإنهم يجوّعونه ويطردونه وهو يأبى إلاّ أن يحيط بهم .

٢ – عن سفيان بن عيينة قال :

نظروا إلى راهب وهو يخرج من نحو الجبل فقالوا له : أين تريد ؟ قال : أطلبُ العيش . قالوا : خلفتَ العيش ورآءك فى المدينة . قال : وما تعدون العيش فيكم ؟ قالوا : الطعام واللباس والشهوات . قال : ليس هو عندنا هكذا . إنما العيش عندنا أن تدعو أطوارك إلى طاعة الله فيحييك .

٣ – عن عبد الرحمن بن حفص الجمحى :

أنّ قوماً أرادوا سفراً ، فحادوا عن الجادة ، فانتهوا إلى راهب منفرد فى ناحية من الناس . فنادوه فأشرف عليهم من حبيسته ذلك (كذا) فقالوا : إنا

قد أضللنا عن الجوادّ فكيف الطريق ؟ فقال : من هنا[1] الطريق، وأومى لهم إلى السماء . فعلم القومُ الذى أراد . فقال بعضهم لبعض : سلوه . قالوا : إنا سائلوك فمجيبنا أنت ؟ قال : سلوا ولا تكثروا ، فإنّ النهار لن يرجع ، وإنّ العمر لن يعود ، والطالب حثيثٌ فى طلبه ذو اجتهاد . تزودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما بلغ البغية . قال : ثم أرشدهم إلى المحجة وأدخل رأسه فى حبيسته .

٤ – أبو عبد الله المغازلى[2] الزاهد قال :

مر رجلٌ براهب . فناداه ، فأشرف عليه فقال : يا أيها[3] الراهب ! متى يخلو القلب والبدن من حب الدنيا ؟ قال : فصرخ الراهب صرخة انحطّ مغشياً عليه فى صومعته . فلم يزل الرجلُ يراقبه حتى أحسّ بإفاقته ، فناداه : أنا منذ اليوم منتظرك أيها الراهب . فأشرف عليه فقال : يا هذا ! ما الذى تريد منى ؟ والله لا يخلو القلبُ والبدنُ أبداً من حبّ الدنيا ، والعينُ تنظر إلى أهلها والأذنُ تسمعُ إلى كلامهم ، هو والله ما أقولُ لك ، حتى يأوى مريدُ الله إلى أكناف الجبال وبطون الأودية والغيران يظلّ مع الوحش يَرِدُ مواردَها ، ويأكلُ من أجنّة الشجر فى أظلّتها ، لا يرى فى ذلك أنّ النعمة أتمّ على أحد منها عليه .

٥ – عن وهب بن (ا آ) منبه قال :

أتى < إبليس > راهباً تخلى فى صومعته فى زمن المسيح . فأراه إبليس . . .[4] فلم يقدر عليه . فأتاه متشبهاً بالمسيح فناداه : أيها الراهب ! أشرف حتى أكلمك . قال : انطلق لشأنك ، فلست أقدر على ردّ ما مضى من عمرى . قال : فأشرفْ

(١) ص « منهنا » .
(٢) ص « المعازلى » .
(٣) ص « يايها » .
(٤) كلمة غير واضحة .

علىّ فأنا المسيح ، قال : إن كنتَ المسيح فما بى إليك من حاجة . أليس قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة ؟ انطلق لشأنك فلا حاجة لى بك . فانطلق عنه اللعين وتركه .

٦ – عن سفيان قال :

قيل لراهب من الرهبان : تخليتَ من الدنيا وتركتها فمم ذاك ؟ قال : خوفاً والله من الآخرة أن يتخلى منى ويتركنى .

٧ – عن حسان بن عطية قال :

يستحب أن يؤمن على دعاء الراهب . قال : يستجاب لهم فينا ، ولا يستجاب لهم فى أنفسهم .

٨ – عن أبى بكر بن مسافر السلمى قال :

رأى عمر بن عبد العزيز راهباً بدير سمعان ، فجرى بينهما كلمات ، فقال عمر فى آخر كلماته : يا راهب ! لو دخلتَ فى الإسلام . قال : يا أمير المؤمنين ! دينك جديد وأنتَ منه على نضارة ، وأصحابك به مستبشرون . ودينى قد خلق وتغيّر أهله ، وإن تعش يا أمير المؤمنين حتى يخلق دينك فسترى من تغيّر ... ...[1] تنكره لا ما تعرفه .

٩ – حدث ابن السماك قال :

سألتُ بعض رهبان الأكيراح فقلت : خبّرنى لم سُمّى الإجتماع فى المصيبة مأتماً ؟ قال : فبكى ، ثم قال : إنما سمى مأتماً لأن المجتمع عليه من أجله لم يتم . ثم قال : تدرى مَن أولُ من سماه مأتماً ؟ قلتُ : من ؟ قال : كان فى زمن داود عليه السلام رجل يعمل الخوص ، وإن بنى إسرائيل سألوه أن يعمل لهم من الخوص شيئاً يكنّهم من الشمس إذا قاموا إلى الصلاة فى بيت المقدس . قال :

(١) هنا كلمتان مطموستان ولعلهما [امره ما] .

فأخذ هو وبنوه فى عمله ، وكانت بنو إسرائيل[1] تروح وتغتدى عليه يسألونه عن ذلك فيقول : ما تمّ بعد ، ويقول : لو قد تمّ دفعته إليكم . قال : فبينا هو كذلك إذ نزل به الموت فمات . قال : فجاءت بنو إسرائيل[2] وهم يظنون أنه قدفرغ منهفوجدوه ميتاً ووجدوه لم يتمّ . فقالوا : ماتمّ ما تمّ ، واجتمعوا يبكون عليه و يقولو[ن] : ما تم ما تم. قال : فهو أول ما سمى الاجتماع فى المصيبة مأتماً .

١٠ – عن الفضيل بن شعبة قال :

ما لقينى حسان الراهب قط إلاّ قال لى : انظر ، لا تطفىء المصباح من بيتك فيدخل عليك اللصوص فيخرجونك . يقول : نوّر بيتك بذكر الله .

١١ – عن مالك بن دينار قال :

قال راهب من الرهبان : يا مالك بن دينار ! إن استطعت أن تجعل بينك وبين الناس سوراً من حديد فافعل . وانظر كل جليس وصاحب لا ... ...[3] فى دينك شيئاً ... عنك صحبته .

١٢ – عن عارم قال :

قال لى بعض الرهبان : نحْ على أيام الدنيا على قلة المتعاونين على النياحة .

١٣ – عن سعيد بن عمرو المخزومى قال :

نزل خالد بن الوليد الحيرة ، فأرسل إلى عمرو بن قيس العبادى ، وكان من المعمَّرين . فأتاه فسأله : من أين نزلت؟ قال : من صُلب والدى . قال : فمن أين خرجت؟ قال : من(١ ب) بطن أمّى . قا [ل] : وعن هذا سألتك ؟ ألا تخبرنى عن هذه الحصون لم بنيتموها ؟ قال : بنيناها خوفاً من الجاهل حتى

---

(١) ص « بنى اسرايل » .
(٢) ص « اسرايل » .
(٣) كلمات غير واضحة .

سا سا (؟) الحليم . قال : فحدثنى بأعجب شىء رأيته . قال : أعجب ما رأيته منذ رأيته أنى رأيتُ المرأة من أهل الحيرة تخرج بزادها فى زبيلها إلى الشام فلا تحتاج إلى زاد حتى تبلغ الشام من الدثور والعمران . قال : أتى[1] عليك ؟ قال : ثلاث مئة وأربعون سنة .

١٤ – عن على بن الأشهب قال :

قال قيصر لعدى بن حاتم : أخبرنى عن أصحاب هذا الرجل . قال : ليوث بالنهار ورُهبان بالليل، لا يدخلون البيوت إلا بإذن ولا يأكلون الطعام إلاّ بثمن. قال : أخلوا لهم الأرض والحقوا ببطون الأودية والشعاب .

١٥ – عن أبى بكر بن عياش :

أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله مرّ براهب فى طريق الشام ، فناداه ، فأشرف عليه ، فإذا شيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه ، فرفعهما بيده ثم قال : أنت يا عمر ملك الأرض فكيف بك إذا دعاك ملك السماء فعرض حكمك على حكمه ، أىّ رجل أنت حينئذ يا عمر ؟ قال : فبكى[2] بكاء شديداً ثم قال : أوصنى أيها الراهب . قال : أوصيك بحفظ نفسك عن سبل الهلكات . قال : زدنى . قال : ولا تدعنّ لنفسك على نفسك حجة ، هو الله ... يعلم سرّك و ... ...[3] يعلم ما تكسبون . انطلقْ عنى يا عمر .

١٦ – أبو بكر بن عياش قال :

بينا راهبٌ مشرفٌ من صومعته إذ هو بسبع قد افترس غلاماً . فلما نظر الغلام إلى الراهب قد أشرف ناداه الغلام : أيها الراهب ! ادعُ إلهك الذى ترهبتَ له أن يصرف عنى كيد هذا السبع فقد ترى ما يصنع بى . قال : فرفع

---

(١) ص « أتا » .
(٢) ص « فبكا » .
(٣) كلمات مطموسة .

الراهب رأسه إلى السماء ثم أدخل يديه تحت لحيته وبكى حتى بلّها ، والسبعُ جاثم على الغلام لم يحدث شيئاً . ثم ناداه بالعبرانية أو قال بالسريانية : أنت تعلم يا إله الأوّلين والآخرين أنه إنما استغاث بك ، ولكنه جعلنى وسيلة فيما بينك وبينه فأغثه يا مغيث المستغيثين وخلصه من كلّ عدو مبين . قال : فوثب السبعُ عنه ينفض ذنبه . ثم ولّى ولم يضرّه شيئاً.

١٧ – عن عبد ربه العابد قال[1] :

سألتُ بعض الرهبان عن لبس السواد قال منتهى الحرقة : ألا ترى إلى أهل المصيبة إذا مات لهم الميت كيف يسوّدون ويغيّرون ؟ قال : وسألتُ آخر عنه فقال : يا هذا ؟ إنّ لباس أهل النار السواد ، فأحبّ العاملون لله أن يُشعروا قلوبهم بذلك كلما نظروا إلى ذلك اللباس عليهم .

١٨ – حدث إبرهيم بن زيد السلولى ، وكان من البكائين عند الذكر ، قال :

سألتُ راهباً رأيته فى كنيسة بالرُّها قلتُ : ما بالكم تبدؤن قراءة الإنجيل بالسكينة والرفق ثم لا تلبسون أن ترتفع أصواتكم وتصيحون صياحاً شديداً ؟ قال فقال لى : لقد تفقدت من ذلك أمراً ما يتفقده إلاّ العالمون بالله وبأياته . أما علمت ، رحمك الله ، أن الاستغاثة لا تكون إلاّ بالضجيج والصراخ ؟ فعلمتُ الذى (٢ آ) أراد .

١٩ – عيسى بن مالك الخولانى ، قال :

رأيت على باب بيت المقدس راهباً باكياً فقلت : أيها الراهب ! أوصنى . فقال : يا أخى ! إنما أوصيك إن استطعتَ أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذرٌ يخاف أن يغفل فيفترسه السباع أو يسهو فتنهسه الهوام ، فهو مذعورُ القلب وجلٌ . ليله ليلَ مخافة إذا أمن فيه المغترّون ، ونهاره نهار حزنٍ إذا فرح فيه الباطلون . ثم ولى وتركنى . قلت : لو زدتنى

(١) ص « قالت » .

شيئاً عسى أن تنفعنى به . قال : الظمآن يجزيه من الماء أيسره .

٢٠ — عن عطاء الذمارى قال :

إنّ رجلا من[١] بنى إسرائيل[٢] ترهب واعتزل فى صومعته ، فعبد الله فيها سبعين عاماً حتى أقعِد من رجليه . فقيل له : سلْ حاجتك . قال : حاجتى أن تردّ علىّ أركانى فأعبد الله عليهما إلى حين أجلى . قال : فردت عليه رجلاه فبكى حتى عمى . فقيل له : سل حاجتك . قال : المغفرة . قليل[٣] : سل غيرها فقد أعطيتَها . فقال : أسأل أن يغاث الناس ، وكان عام جدب ، فأغيثوا .

٢١ — عن وهب بن منبه قال :

تعبد رجلٌ فى بنى إسرائيل زماناً ثم بدت إلى الله حاجة فصام سبعين سنة يأكل . . . . ت إحدى عشرة تمرة . ثم سأل حاجة فلم يُعطَها . فرجع إلى نفسه فقال : منك أتيت . لو كان فيكِ خيراً أعطيتِ حاجتك . فنزّل الله عند ذلك ملك فقال : يا ابن آدم ! ساعتك هذه خير من طاعتك التى مضَتْ ، وقد قضى الله حاجتك .

٢٢ — عن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال :

كان فى بنى إسرائيل رجلٌ يتعبد فى صومعته . فمكث بذلك زماناً طويلا ، فأشرف ذات يوم من صومعته فإذا هو بامرأة فافتتن بها وهمّ بإخراج رجله من صومعته لينزل إليها ، فتداركه الله بسابقته ، فقال : ما هذا الذى أريد أن أصنع ؟ فرجعت إليه نفسه وجاءته العصمة فندم . فلما أراد أن يعيد رجله فى الصومعة قال : هيهات هيهات ! رجل خرجت تريد أن تعصى الله تعود معى فى صومعتى لا يكون والله ذلك أبداً . قال : فتركها معلقة من الصومعة تصيبها

---

(١) ص « فى » .
(٢) ص « اسرايل » .
(٣) ص « قال » .

الرياح والأمطار والشمس والثلج حتى تقطعت ، فشكر الله على ذلك ، فأنزل الله فى بعض كتبه : وذا الرجل يذكر بذلك .

٢٣ – قال مالك بن دينار :

قال بعض الرهبان : إنى وجدتُ فى بعض كتب الحكمة : لا خير لك أن تعلم مالا تعمل[1] ولا تعمل[2] ما علمت ، فإنّ مثل ذلك مثل رجل احتطب حطباً فحزم حزمة ذهب ليحملها فعجز عنها ، فضمّ إليها أخرى .

٢٤ – عبد الله بن قيس يقول :

قال علىّ رضى الله عنه فى هذه الآية ﴿قل هل ننبّئكم بالآخسرين أعمالا﴾[3] قال : هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم فى السوارى .

تم المنتقى من كتاب الرهبان

Ṣalaḥuddīn Al-Munajjed

---

(١) ص « تعلم » .
(٢) ص « ولم » .
(٣) سورة الكهف ١٨ ، الآية ١٠٣ .